

## محطة الخيرة

لم يكن من السهل إقناع الزميل سمير قصير بأن الكتابة ليست دوما عملا انتحاريا يخرج إليه الكاتب من دون أمل أو ربما رغبة بالعودة سالما... لأنها كانت هوايته وشغفه وميزته وأسلوبه الخاص.

منذ سنوات عديدة، منذ ان احتل سمير مكانه على الصفحة الاولى من الزميلة «النهار»، كان مقاله بمثابة موعد اسبوعي مع القلق والخوف من الحدود القصوى التي يلامسها قلمه، أو يخترقها عن سابق تصور وتصميم، متجاوزا كل ما يكتب بالتورية حيناً او بالاشارة احيانا.

مرة كل اسبوع، كان يصرخ بصوت عال بما لا يقال في السر وبما لا ينقل بالهمس، متحديا الجميع بأن يشاركوه الصراخ وبأن يكسروا حواجز الصمت، برغم انه كان يعرف ضمنا أن احدا لن يبلغ المدى الذي بلغه، ولن يخاطر في الدخول في مواجهة بين القلم وبين السلاح.

لم يقتنع يوما بأن لا يعيش في وطنه الثاني فرنسا، ولا في أي من الاوطان الكثيرة التي كان يحلم بأن يشبهها أو يقلدها لبنان يوما، في احترام الكلمة المختلفة، والرأي الآخر، وفي المصالحة مع تاريخها الحافل بالحروب الاهلية التي لم يعترف يوما الا بأنها كانت لحظة لبنانية عابرة، كان لها ما قبلها لكنه ليس لها ما بعدها، فقط لان الاجيال الجديدة التي سارت في ساحة الشهداء وفي رياض الصلح أرقى من الأجيال السابقة..

لم يقتنع أبدا بأن تلك الاجيال الجديدة يمكن ان تخذل، وتعود في اللحظة الحرجة الى طوائفها ومذاهبها وزعمائها الروحيين لكي تختار وتقرر، وتترك كتابها وأساتذتها الجامعيين على قارعة الطريق، يتساءلون عن اسباب قوة وفعالية تلك العقائد المتوارثة منذ مئات السنين.

لم يقتنع للحظة ان لبنان ليس قضية فرنسية، وهو بالتأكيد لا يمكن ان يكون قضية اميركية في مواجهة سوريا، التي لم يستجب شعبها حتى الآن لنداء الاصلاح والاصلاحيين، الذين يروج لهم لبنانيون يتجنبون النقاش الفعلي حول الاسلام السياسي الذي سيحكم دمشق في المستقبل، مثلما يتحكم وحده اليوم بالسجال الداخلي السوري!

كان سمير يؤمن بأن الكلمة وحدها تحمي، وكان يظن أن توسيع هامش الحرية يكفي، وكان يعتبر أن السير مع المتظاهرين وتشجيعهم يعني أن الطريق يصير أقصر، والتغيير يصبح أسرع، لا تنفيه جريمة بحجم اغتيال الرئيس رفيق الحريري ولا تفرقه.. لان الحتمية التاريخية لا تزال رهانا حقيقيا لا يقتصر على اليساريين الديموقراطيين.

كان متوقعا ألا يعود سمير من احدى عملياته الانتحارية الاسبوعية، لكنه كان مفترضا ان ينتظر قليلا حتى يشهد بعضا من التغيير الذي ارتجاه والاصلاح الذي توقعه. مثلما كان إقناعه صعبا، سيكون وداعه أصعب.